246618 ـ كيف نثبت للنصارى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن طالب دنيا وملك ؟

السؤال

كيف نثبت للنصارى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن طالب شهوة ولا ملك ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم من طلاب الدنيا ، ولا خطر حب الدنيا له على بال ؛ فقد عاش حياة الزهد والعبادة ، وانشغل بأمر الآخرة ، وسيرته وأحاديثه ناطقة بصحة ذلك :

ـ فروى الترمذي (2377) عن ابن مسعود قَالَ: " نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً ، فَقَالَ: (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) .

وصححه الألباني في " صحيح الترمذي ".

ـ وروى أحمد (7120) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : (إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ) ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : (يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ : أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ (بَلْ عَبْدًا رَسُولًا) " .

صححه الألباني في "الصحيحة" (1002) .

فترك الملك ، واختار العبودية لله والرسالة .

ـ وروى البغوي في "شرح السنة" (5/442) عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلْ ـ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ـ مُتَّكِئًا ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ ، فَأَصْغَى بِرَأْسِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الأَرْضَ وقَالَ : (لا ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ) .

وصححه الألباني في "الصحيحة" (544) .

ـ وروى الإمام أحمد (13529) عَنْ أَنَسٍ : " أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا !!

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَرَسُولُ اللهِ ؛ وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللهُ) .

صححه الألباني في "الصحيحة" (1097) .

ـ وسئلت عَائِشَة رضي الله عنها : " مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ " .

رواه أحمد (26194) ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (671)

وفي رواية له أيضا (24903) : " كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ " وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (4937) .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ ، فَقُلْتُ ـ أي عروة بن الزبير ـ : يَا خَالَةُ ! مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتِ : الأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ ، وَالْمَاءُ "

رواه البخاري (2567) ، ومسلم (2972) .

ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم طالب دنيا أو طالب ملك ، لما كان هذا حاله ، بل توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وما ترك شيئا من الأموال لورثته من بعده .

وما كان في يده من شيء في حياته ، فإنما هو صدقة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، عن نفسه ، وعن إخوانه الأنبياء، عليهم صلوات الله وسلامه:

(لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ) رواه البخاري (6727) ، ومسلم (1758) .

أما الشهوة :

فالشهوة المباحة : حلال طيب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصيب منها ، دون أن تعطله عن أمر دينه ومصالح المسلمين ، وقد روى البخاري (5063) ، ومسلم (1401) عنه صلى الله عليه وسلم قال : (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) .

وليس هذا خاصا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بل جميع الأنبياء قبله كانوا كذلك ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) الرعد/38 .

وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ، عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ، أنه قال : (لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) !!

بل إن "العهد القديم" يذكر عن سليمان بن داود عليهما السلام ، أنه كان له ألف امرأة .

" سفر الملوك الأول " (11 :3) .

فما بال أهل الكتاب يؤمنون بذلك كله ، وهو في كتبهم لا ينكرونه ، ثم ينكرون أن يتزوج نبينا صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع من النساء ؟!

وأما زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع من النساء: فذلك لحكم بالغة ، لا يطلع على شيء منها الغوي الذي تستهويه

شهواته ، ويتسلط عليه شيطانه ، وقد ذكرنا شيئا من هذه الحكم في الفتوى رقم : (127066) .

والله أعلم .